The Wars of Imam Ali (Peace Be Upon Him): Their Repercussions and Outcomes

(A Study in Nahj al-Balagha)

Lecturer Dr. Arwa Abdulwahid Rahim
University of Basrah / Center for Basrah and Arabian Gulf Studies
E-mail: arwa.abdulwahid@uobasrah.edu.iq

Abstract:

Human history has witnessed numerous wars—some religious, others nationalistic, and others still tribal in nature. The legitimacy of these wars is not necessarily negated by their consequences, whether positive or negative, on humanity's continuous progress toward growth and prosperity. What concerns us here is an examination of the wars waged by Imam Ali (peace be upon him), their repercussions, as well as the motives, causes, and objectives he envisioned. His efforts aimed at making these wars reformative, addressing various aspects of life. To shed light on and clarify the true objectives of those who opposed him (peace be upon him)—that is, the causes and consequences—it is essential to refer to him through his sermons, admonitions, and wisdom as recorded in the book Nahj al-Balagha.

Keywords: Imam Ali, wars, reform, outcomes, Nahj al-Balagha.

حروب الإمام علي عليه السلام تداعياتها ونتائجها
(دراسة في نهج البلاغة)

المدرس الدكتور اروى عبد الواحد رحيم
جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي
E-mail: arwa.abdulwahid@uobasrah.edu.iq

المُلخَّص:

شهدت البشرية حروبًا كثيرةً ، ما كانت دينيةً وتارةً قوميَّة وأخرى قبليةً ، ليس بالضرورة ان تكون هي غير محققٍ في أهدافها وإن كانت نتائجها وآثارها السلبية أو الايجابية في حركة الإنسان التصاعدية نحو النمو والرخاء ؛ وما يهمنا هنا هو الوقوف على الحروب التي خاضها الإمام علي عليه السلام وتداعياتها وعن الدوافع والأسباب والأهداف المنظور لها عنده عليه السلام وسعيه إلى أن تكون إصلاحيةً تعالج مناحي الحياة جميعها ، ومن أجل تسليط الضوء وتبيين الأهداف الحقيقية للذين خرجوا عنه عليه السلام ، اي الأسباب والنتائج كان لا بد أن نرجع إليه عليه السلام عن طريق الخُطب والوصايا والحِكمَ التي نُقلت عنه في كتاب نهج البلاغة.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي ، الحروب ، الإصلاح، النتائج، نهج البلاغة.

المقدمة:

شهدت البشرية حروبًا كثيرةً ما كانت دينيةً وتارةً قوميةً وأخرى قبليةً ، و ليست بالضرورة أن تكون هي غير محقةٍ في أهدافها وإن كانت نتائجها وآثارها السلبية أو الإيجابية في حركة الإنسان التصاعدية نحو النمو والرخاء ؛ وما يهمنا في بحثنا هذا هو الوقوف على الحروب التي خاضها الإمام علي عليه السلام وأسبابها وعن الدوافع والاهداف المنظور لها عنده عليه السلام وسعيه إلى أن تكون إصلاحيةً تعالج مناحي الحياة الدنيوية و الآخرية جميعها التي جاءت في الوقت ذاته منسجمةً مع الغرض الإلهي من خلق الإنسان، مع الأخذ بنظر الحسبان أن وقف الحرب وفرض السلم هي أولى مساعي الإمام عليه السلام(لاَ تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَ تَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِم.)[1] فلم تكن دوافع تسلطيَّةً بل إعادة الأمور إلى نصابها الحقيقي.

ومن أجل تسليط الضوء وتبيين الأهداف الحقيقية للذين خرجوا عنه عليه السلام كان لا بد من الرجوع إليه عليه السلام نفسه فجاء هذا المبحث الأول لمعرفة أسباب الحرب عنده عليه السلام والمسار التصحيحي فيها ، وأهم المسارات التي صحَّحها الإمام عليه السلام هي منطلقات المعارضين التي انطلقوا وتحركوا بها لقيادة الناس و تحشيدهم ضد الامام عليه السلام ؛ وإيضاح الأسباب الحقيقية الكامنة وراءها من حسدٍ وحقدٍ التي شكَّلت أساسًا لها ، وغيرها من الأمور التي وردت في طيَّات البحث.

في حين تناول المبحث الثاني النتائج العامة لهذه الحروب وما أفرزته من توصياتٍ مستدامةٍ كقيادة النساء للجيوش وتقدير الناكثين للرسول صلى الله عليه و آله واحترام حرمته زيادةً على التعريف بأهل الشام وبيان حقيقتهم وطريقة تفكيرهم. وفي الختام نرجو أن نكون قد وُفِّقنا لعرض جزءٍ يسيرٍ من الأسباب الحقيقية للحروب وتصحيح ما يُنشر إعلاميًّا ولعل منها الدعوى التي تقول أن عائشة لم تخرج للقتال بل خرجت للإصلاح بين المسلمين[2] ، و ردّ الإمام عليه السلام نفسه على ذلك عن طريق الخُطَب والوصايا والحِكَم التي نُقلت عنه في كتاب نهج البلاغة.

المبحث الأول

أسباب الأحداث والمسار التصحيحي

من المُسلَّم به أن كل تحرُّكات الإمام علي عليه السلام تقع في إطار الإصلاح والتصحيح ، سواءً كان ذلك يقع ضمن واجبه إمامًا أولًا أو كونه من أهل بيت النبي صلى الله عليه و آله وسلم ثانيًا، فلم يكن في أي وقتٍ من الأوقات من أهل العنف وسفك الدماء بل الرأفة والرحمة هي ديدنه .

إن مسار الأحداث سواءً كانت الجمل(٣٧هـ) أو صفين(٣٧هـ) أو النهروان(٣٨هـ) مسارًا ومنحًى خطيرًا كان لا بد له عليه السلام من التدخل و تغيير الهالة الإعلامية التي أحدثها مخالفوه؛ وتحطيم صورة الواقع وحقيقته وإعطائه صورةً أخرى وحقيقةً مختلفةً، وفي الوقت ذاته تغيير خريطة الاتجاهات المستقبلية، أي التحرُّك مع النتائج والتغييرات الحاسمة التي تتولد وإن كانت بعيدة المدى لكي تصبَّ في المسار الإيجابي فهو القائل : (وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ ، وَخَابَطَ الْغَيَّ ، مِنْ إِدْهَانٍ وَلاَ إِيهَانٍ. فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ، قُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ، فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلاً، إِن لَم تُمْنَحُوهُ وفروا الى الله من الله عَاجِلاً)[٣] .

المسار الإعلامي ومنطلقات المعارضين

قلنا فيما سبق أن الامام علي عليه السلام لم يكن يريد التعامُل مع الأحداث تعامُلًا نفعيًّا، بل كان يريد استثمار الأحداث من أجل التصحيح والإصلاح؛ وأحد أهم المسارات التي صحَّحها الإمام عليه السلام هو المسار الإعلامي للحروب ومنطلقات المعارضين، فمما لا شك فيه ان الحقائق الإعلامية التي أعلنها المتمردون للخروج عن الإمام تختلف عن الأسباب والمنطلقات الحقيقية الكامنة وراء ذلك . وربما من روائع دراسة هذه الأحداث في نهج البلاغة، هو إن الإمام عليه السلام هو الذي يطرح الأسباب الحقيقية والكامنة وراء تمرُّد وخروج هؤلاء من جهة والمسار التصحيحي فيها من جهةٍ أخرى.

ومنطلق المعارضين الذي خرجوا به في حربهم ضد الإمام علي عليه السلام يكمن في الطلب بدم عثمان، فيما كانت حقيقته ومبررهم دعوًى باطلةً ، خلفها مجموعةٌ من الأسباب المُبطَّنة التي أظهرها الإمام علي عليه السلام للعلن، فأوضح عليه السلام أن هذا إعلامٌ مزورٌ وإنما طالبوا بدم عثمان خوفًا من أن يُطالبوا هم بدمه، قال عليه السلام : (قَدْ كُنْتُ وَ مَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَ لاَ أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ، وَ أَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ. وَ اللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّدًا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلاَّ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ، لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ، وَ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبِسَ[يلبس] الْأَمْرُ وَ يَقَعَ الشَّكُّ. وَ وَ اللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاَثٍ: لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا _كَمَا كَانَ يَزْعُمُ _لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ، وَ أَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ. وَ لَئِنْ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ

الْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ، وَ الْمُعَذِّرِينَ فِيهِ وَ لَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَ يَرْكُد[يركب] جَانِبًا، وَ يَدَعَ النَّاسَ، مَعَهُ ،فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَ جَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ وَ لَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.)[٤] ، ففي هذا النص يوضح الإمام عليه السلام إن استعجال طلحة للطلب بدم عثمان من أجل خوفه من أن يُطالَب هو بدمه ، فهذه العجلة أو السرعة لأنه يعرف الملابسات المحيطة بهذا الحدث وهو أحد أسبابه، فهو السبب الرئيس وراء قتله(عثمان) ومنع إعطاء الماء له[٥]، فأسرع لشن الحرب على الإمام عليه السلام لإخفاء حقيقة اشتراكه في قتل عثمان ويلتبس على الناس فيقع الشك على غيره ويدفعها عن نفسه[٦] . فهنا طعن الإمام علي عليه السلام في الهدف المُعلَن للحرب وبيَّن الهدف الاساسي وما يدور خلفه، وبهذا يمكن القول :

١- إن خروج الإمام علي عليه السلام وخطاباته وإيضاح الأسباب الحقيقية يقع ضمن إطار التنمية المستدامة والاستفادة من الحدث .

٢- إيضاح الإمام علي عليه السلام الإعلان الكاذب الذي أشهره طلحة بين الناس من أن عثمان قُتل مظلومًا ، وإنما فلسفة خروجه هي الخوف على نفسه من أن يُطالَب بدمه فأسرع ليقع الالتباس والشك عند الناس.

٣- كما يمكن الخروج بنتيجةٍ مهمةٍ وهي التسديد والتأييد الإلهي للإمام عليه السلام والوعد بالنصر.

٤- طَرَحَ الإمام علي عليه السلام في كلامه غرائب شخصية طلحة وأبطل عذره في الخروج والمطالبة بدم عثمان بقضيةٍ شرطيةٍ، إن عثمان عنده -وعلى حد زعمه- إما أن يكون ظالمًا أو مظلومًا أو مجهول الحال ، وعلى كل حال كان عليه القيام بما يقتضي لكنه لم يفعل ذلك وأتى بأعذارٍ ليست حقيقية .

إذن نستنتج مما تقدَّم أن الإمام علي عليه السلام استطاع تغيير الأهداف والدعاوى المُعلنَة للمعارضين التي أُريد منها استمالة وكسب العامة وتوجيه تفكيرها لتكون في خدمتهم ، وهي ليست أهدافٌ حقيقيةٌ وإنما جاءت لإخفاء حقائق كامنةٍ وراءها ، وليس هناك ما يدعم متطلباتهم سوى الانطلاق من منطلق المطالبة و أحدوثة العصر بدم عثمان هذا الإعلان الكاذب الذي اتخذوه واجهةً ليغرَّ الناس و لا سيما في المناطق البعيدة إعلاميًا عن حقيقة الأحداث و ماهيّتها .

بالتالي إن السبب الحقيقي الأول الذي يكمن في الخروج عن الإمام علي عليه السلام والمطالبة بدم عثمان هو إبعاد التهمة عنهم، و لكن بالمقابل فإن الإمام علي عليه السلام يحاول ويبرز الأسباب الحقيقية خلف هذا الإعلان الكاذب دائمًا، أما السبب الثاني فهو سببٌ سياسيٌّ من أجل الحصول على المناصب، بدليل ذلك قوله لمعاوية : (وَ قَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ، أَحْمِلْكَ وَ إِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. وَ أَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ)[٧] ، إذن القضية مُنهَجةً سياسيًا من معاوية ، ليس الهدف منها ما يرفع من شعار

(الاقتصاص من قتلة عثمان) وتحقيق مضمونه والوصول إليه ، إنما الهدف الحقيقي الحصول على الرئاسة وتولي الحُكم[٨] ، وهذا ما ينطبق على طلحة والزبير أيضًا عندما جاؤوا إلى الإمام عليه السلام عند توليه الخلافة وقالوا له :(نُبَايِعُكَ عَلَى أَنَّا شُرَكَاؤُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ لاَ وَ لَكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي الْقُوَّةِ وَ الاِسْتِعَانَةِ وَعَوْنَانِ عَلَى الْعَجْزِ وَ الْأَوَدِ)[٩].

الأسباب الشخصية شكَّلت سببًا ثالثًا في الخروج عن الإمام علي عليه السلام، وحقًا لا مجازًا عندما نقول الاحقاد هي من الأسباب الرئيسة للحروب ، وما يكنُّه المعارضون للإمام عليه السلام من أحقادٍ وضغنٍ وحسدٍ أشهر على علمٍ وفضح حتى و إن أخفى ، بدليل أن عائشة كانت من المتشددين على خلافة عثمان، بل استخدمت ثقلها بين الناس في التحريض على قتله و أصدرت الفتاوى السياسية بقولها : (اقتلوا نعثلًا فقد كفر)[١٠] ، و نَعْثَل الشيخ الأحمق الذي يكون كث اللحية[١١] بل إنها أخرجت قميص رسول الله صلى الله عليه و آله ، ونادت : يا معشر المسلمين ! هذا جلباب رسول الله لم يبلَ ، وقد أبلى عثمان سنته[١٢]، لكن بعد موته وتولِّي الإمام عليه السلام الخلافة تغيَّر موقفها وتغيَّرت أيضًا فتواها السياسية بسرعةٍ كبيرةٍ إلى تقديس ابن عفان[١٣] وأخذت تقول قتلوا ابن عفان مظلومًا[١٤] وخرجت عن الإمام عليه السلام مطالبةً بدم عثمان والاقتصاص من قتلته ليس حبًا في عثمان بل لما تكنُّه من حقدٍ وحسدٍ للإمام عليه السلام ، إذ يقول عليه السلام في ذلك : (وَ أَمَّا فُلاَنَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ[رائحة] النِّسَاءِ، وَ ضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ، وَ لَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ، لَمْ تَفْعَلْ وَ لَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى، وَ الْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.)[١٥] ، فالباعث على خروجها شخصيٌّ بحت لا ديني[١٦] .ومن قول الإمام عليه السلام ممكن أن نستدل على مجموعة أمور منها:-

الأمر الأول: يُشير الإمام عليه السلام إلى مسالة العواطف والجانب الانفعالي الذي يغلب على رأي المرأة فمهما ارتقت إلى موقعٍ أو مكانةٍ في المجتمع تغلب العاطفة عليها بدليل أن عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه و آله و أم المؤمنين كان من ممكن أن يكون لها دورٌ في تعزيز السلام والحوار السلمي وإنهاء الأعمال القتالية لكن العاطفة وحقدها على الإمام عليه السلام غلب على ترجيح العقل .

الأمر الثاني : تشبيه الإمام عليه السلام الحقد الذي تكنُّه عائشة بمرجل القين وهو قدر الحداد النحاسي[١٧] الذي يحف باللهب ولا يبرد إلا بعد أن يحقق نتيجته أو هدفه بدليل أنها لو دُعيت إلى أن تفعل ما فعلت مع غير الإمام عليه السلام لرفضت وكانت بعدًا حاسمًا في السلام بين الأطراف المتحاربة.

الأمر الثالث: الذي يُشير الإمام عليه السلام إليه وهو منطق التعامل مع عائشة باحترامها كونها زوجة الرسول صلى الله عليه و آله مع أنها أخطأت بخروجها، وسنتعرف فيما بعد الاختلاف بين منطق طلحة والزبير في تعاملهم مع زوجة الرسول صلى الله عليه و آله ومنطق أمير المؤمنين عليه السلام .

كما قال عليه السلام في نصٍّ آخر فيما يخص هذا الأمر : (إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَأُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي ، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا . وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ – وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ .)[١٨] ، فخروجهم ليس لأمرٍ خالفه وارتكبه الإمام عليه السلام[١٩] ، بل كما قلنا إن الحسد والحقد والعداوة المُتجذِّرة من العصر الجاهلي هو الذي دعاهم إلى الخروج[٢٠] وتأليب الناس. رافعين رايةً كاذبةً مفادها الطلب بدم عثمان ، ومما مر يمكن القول:

١– كَشَفَ الإمام عليه السلام الصورة الكاذبة والإعلان الكاذب الذي أعلنه المتمردون للخروج وإيضاح النيَّة المُبطَّنة والدافع الأساسي وهو الحسد والحقد على الإمام عليه السلام.

٢– يشير الإمام عليه السلام إلى قضيةٍ شرطيةٍ وفلسفة الخروج وأسبابه، وهو الصبر والتغاضي عن خروجهم إذ لم يكن فيه ضررٌ وتفاقم الآثار السلبية التي تسبب كثيرًا من المشاكل.

٣– كما يشير الإمام عليه السلام إلى مسألةٍ أخرى وهي عندما اجتمعت المصالح اتفقت الآراء على نَقْضِ خلافة الإمام عليه السلام والخروج عنه(إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَأُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي) .

٤– نستنتج أمرًا مهمًا أيضًا وهو إن ردع الناكثين ضرورةٌ مترتبةٌ على وجوده إمامًا و جزءًا من التكليف والعمل به ، وإن خروجهم امتدادٌ للجاهلية والعصبية وإطفاءٌ للإسلام المحمدي .

٥– كما يمكن الخروج بنتيجةٍ مفادها إن فلسفة الإمام عليه السلام فلسفةٌ إصلاحيةٌ بمقابل الأطماع الشخصية .

يستطرد الإمام أيضًا في الحديث مُشدِّدًا ومُركِّزًا على السبب نفسه في قوله عليه السلام(مَا لِي وَ لِقُرَيْشٍ! وَ اللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ، وَ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ، وَ إِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ، كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ! وَ اللَّهِ مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ، فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا فَكَانُوا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

أَدَمْتَ لَعَمْرِي شُرْبَكَ الْمَحْضَ صَابِحًا وَ أَكْـــلَكَ بِالـــزُّبْدِ الْمُقَشَّرَةَ الْبُجْرَا
وَنَحْـنُ وَهَبْـــنَاكَ الْعَلَاءَ وَ لَمْ تَكُنْ عَلِيًّا وَ حُطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَ السُّمْرَا)[٢١]

فهو ليس في حالةٍ شخصيةٍ متغيرةٍ تتغير مع الزمن حتى يقفو هذا الموقف العدائي بل على العكس من ذلك فهم الذين اختلفت تركيبتهم الخارجية لتواكب اختلاف الزمن وما تتطلب تلك الظروف من طبيعة،

فمن كافرين إلى بُغاةٍ ومنحرفين ، وهذا كله كما قلنا بسبب حسد قريشٍ للإمام عليه السلام وأهل بيته لأن الله اختارهم واصطفاهم على الجميع[٢٢] ، و بمقابل ذلك نجد السمو في النهج والنفسية العلوية في قول الإمام عليه السلام عند ما انتهت المعركة ووقف على القتلى يتفحَّصهم و يستعرض الجثث؛ فوقف على طلحة بن عبيد الله فعزَّ عليه أن تكون نهايته بهذه الصورة التعيسة في مكانٍ ليس وطنه ولا دياره ولا أهله[٢٣] أهله[٢٣] فقال عليه السلام : (لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا! أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَ أَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَه)[٢٤]، فهما طرفان متناقضان التوجُّه والاهداف .

إذن إنطلاق الخصوم ليس انطلاقًا إسلاميًا إيمانيًا بل انطلاقٌ نابعٌ من المصالح والأهواء الشخصية وليس الإسلامية ، وربما إن الإمام علي عليه السلام أراد تحريك وعي الجماهير و إثارة التساؤلات في نفوسهم في شرعية ما يقومون به و لا سيما أن المعارضين لهم ثقلهم في المجتمع الإسلامي .

أما فيما يخص الأسباب والدوافع الاخرى التي كانت سببًا في نشوب الحرب ، وهو الدافع المادي[٢٥] الذي كان دافعًا قويًا وراء خروج هؤلاء[٢٦] وربما كان هذا من أهم الأسباب والدوافع لأن الإمام علي عليه السلام ضرب امتيازاتهم الشخصية[٢٧] التي كانوا يتمتعون بها قبل تولِّيه من جانب وحبهم للمال والسلطة والزعامة من جانبٍ آخر فقال عليه السلام : (كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، وَ يَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لاَ يَمُتُّانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ، وَ لاَ يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ. كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ، وَ عَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ! وَ اللَّهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا. نَفْسَ هَذَا وَ لَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ، الْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ! فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وَ قُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ وَ لِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَ لِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَة)[٢٨]، في هذا النص يُبيِّن الإمام عليه السلام كمية ما يحمله كلٌّ منهما للآخر من الحقد ويتربص به الفرص ويرى نفسه أعظم و أجل، و إنما اجتمعت آراؤهم لاجتماع مصالحهم ولو تمَّ الأمر لواحدٍ منهم وتولَّى السلطة لقامت الحرب بينهما وسعى كلٌّ منهم إلى قتل الآخر[٢٩] .

المسار الإصلاحي واستدامة الحدث

إن الأحداث والحروب التي حدثت كانت بمكانة تحدٍ جديدٍ يعيشه المجتمع ، لكن من حُسن حظ الأمة أن هذه الأحداث حدثت في عهد الإمام عليه السلام ، لأنه عليه السلام أعاد استخدام ما تعرَّض له من الأحداث من أجل الحفاظ على الدين الإسلامي(اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَ الْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ، فِي الدِّينِ وَ الدُّنْيَا، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلاَّ النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَ نَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَ سَمَاوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ وَ الْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِه)[٣٠] بشكلٍ يحقق التوافق بين الحروب

والأعمال القتالية وبين أهداف الدين الإسلامي لتحسين نوعية الحياة البشرية بعد أن تعرَّضت للتدهور والتخريب[٣١] خلال المدَّات بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله ، ومن ثم جعل هذه الأحداث الحيوية والمهمة منتجةً على مرور الوقت وعلى مدى مُدَّاتٍ زمنيةٍ مختلفةٍ، فحينما قال له أحد أصحابه متمنيًا أن يكون أخوه شاهد المعركة مع الامام علي عليه السلام فقال له عليه السلام (أَ هَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا، وَ لَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ[قوم] فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ، وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، وَ يَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ.)[٣٢].

ففي النص السابق اشار عليه السلام إلى أمرينِ : الأول هو الحضور المعنوي واتحاد الرؤية في كل زمان، من مات ومن شَاهَد ومن لا يزال في أصلاب الرجال وأرحام الأمهات ، وفي كل زمانٍ سيوجد أنصار الحق و الذَّابون عنه الثاني: استدامة الحدث لأن اللاحق إذا كان موافقًا للسابق في النية والاعتقاد كان شريكًا له وكان حُكمه كحكمه[٣٣] .

من هنا فإن الإمام عليه السلام وجد نفسه تمام مسؤولية إصلاح المنظومة الإسلامية والعودة بها إلى التجربة أو المنظومة المحمدية وتطبيق الإسلام الحقيقي وبالأدق صياغةً فمشروعُه إصلاحيٌّ وآثاره إلى يومنا هذا بمعنى استدامة الحدث كما قلنا فيما سبق، إذ قال عليه السلام : (اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَ لاَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَ لَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَ نُظْهِرَ الْإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَ تُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِك)[٣٤] ، فهنا يوضح الإمام عليه السلام أن الوضع السياسي والحربي الذي حدث وأسبابه ليس من أجل الحُكم والرئاسة أو الرغبة في التسلُّط والثروة –فهي لا قيمة لها في نظره– بل من أجل تحقيق منظومة الإصلاح بردِّ المعالم التي اختفت من الدين والقضاء على المفاسد التي ظهرت ، وإذ ما ظهر الإصلاح أُقيمت الحدود التي فرضها الله تعالى[٣٥] ؛ و قال عليه السلام في موضعٍ آخر (...وَ لَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي اَلْإِسْلاَمِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَ الاِعْوِجَاجِ، وَ الشُّبْهَةِ وَ التَّأْوِيلِ. فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللَّهُ بِهَا شَعَثَنَا، وَ نَتَدَانَى بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَ أَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.)[٣٦] ، فالقتال أصبح بين أهل القبلة أو المسلمين أنفسهم على ما دخل فيه الانحراف والالتواء وعدم الاستقامة[٣٧] ، وهذه إحدى أهداف الجهاد وفلسفته و أهميته في الإسلام[٣٨] حتى و إن كان بين أهل القبلة أنفسهم .

إن عملية الإصلاح التي قادها الإمام علي عليه السلام عن طريق الجهاد تشبه عملية الإصلاح التي قادها الرسول صلى الله عليه و آله في قتاله ضد المشركين ، من أجل تحقيق الطريق القويم إذن هو تشابه أحداث لكن في زمانٍ مختلفٍ وبطريقةٍ مختلفةٍ ، ومن واجب الإمامة القيام بدورها و إعلان عملية الجهاد و في هذا السياق قال عليه السلام : (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه و آله، وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ اَلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَ لاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَ بَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَ اطْمَأَنَّتْ

صَفَاتُهُمْ. أَمَا وَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، مَا عَجَزْتُ[ضعفت]، وَ لاَ جَبُنْتُ[وهنت] وَ إِنَّ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا، فَلَأَنْقُبَنَّ[فلانقبن] الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ.)[٣٩]، إذن الحرب تمامًا كحرب رسول الله صلى الله عليه و آله في جهاد الشرك و أهله و إحقاق الحق ونزعةٍ من الباطل[٤٠] ، ويطيب لنا أن نشير إلى خلاصة كلام الإمام عليه السلام في النص السابق بما يلي:

١- استيلاء الباطل و شموله على الأوضاع والمفاصل العامة جميعها وانغمار الحق عنه .

٢- فلسفة النص على الإمامة من أجل الحفاظ على المكتسبات.

٣- التكامُل في شخصية الإمام و شموله على صفات الشجاعة والإقدام التي انتفت عند غيره في سبيل الدعوة الإسلامية[٤١] .

٤- عدم وجود كتابٍ سماويٍّ ولا نبيٍ عند قيام البعثة وهذا ما تؤيده الآية القرآنية ﴿ وَما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَلكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٤٢] .

نستمر بالقول إنه ما دام الإصلاح الكامل لم يتحقق بعد فالحرب مستمرةٌ عند الإمام عليه السلام ، لأن المسألة مرتبطةٌ بإحقاق الحق وليست بالعدد[٤٣]، إذ قال عليه السلام -واصفًا أصحابه بصفين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام - : (فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا، وَ قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَ خُلِعَتْ مَثَانِيهَا، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ. وَ قَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَ ظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلاَّ قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَ مَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ.)[٤٤] فالقضية شرطيةٌ إما قتالهم وخوض غمار الحرب معهم أو الجحود بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه و آله أي الإصلاح والأمر الأول أسهل عنده و أهون من الثاني لما يترتب عليه من آثارٍ مستقبليةٍ بعيدة المدى.

زيادةً على إصلاح المنظومة الدينية فإن أحد أسباب الحرب من أجل إصلاح المنظومة الاجتماعية أيضًا ، و لا سيما لأهل الشام الذين لا يملكون رؤيةً صحيحةً وليس لهم معرفةٌ بدوافع الحرب لأن كل ما وصل لهم وتعرفوا عليه هو الإسلام الأموي ذو المصالح الشخصية والأفكار الجاهلية إذ قال عليه السلام مخاطبًا معاوية في كتابٍ بعثه إليه : (وَ أَرْدَيْتَ جِيلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا، خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ، وَ أَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَ تَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَازُوا[جاروا] عَنْ وِجْهَتِهِمْ، وَ نَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَ تَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَ عَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلاَّ مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ، فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَ هَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَ عَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ. فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَ جَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَ الْآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَ السَّلَامُ.)[٤٥] ، وصل لهم من الإسلام ما أراد معاوية أن يصل لهم فتركوا باتباعهم له طريق الاستقامة واعتمدوا على الفردية

والعشائرية وتعصب الجاهلية بدون مراعاة الدين فكانوا يقصدون حقًا فمالوا إلى باطل[٤٦] . ومما مرَّ نخرج بما يلي:

١- خلل البنية الاجتماعية والدينية في بلاد الشام حيث توجد طبقةٌ جاهلةٌ ضللها معاوية مغيبة الوعي تدرج في موج الجاهلية الأموية .

٢- هناك طبقةٌ مثقفةٌ واعيةٌ غادرت وتخلصت من هذا الجو بعد معرفة حقيقة معاوية و نيَّاته .

٣- تبنَّى معاوية مشروعًا منافيًا للإسلام يعتمد على القبيلة والعشيرة في بلاد الشام.

٤- الإرهاب الفكري الذي مارسه معاوية استهدف الفكر والعقيدة ، وفي هذا نذكر روايةً وردت في المصادر إنه قَدِمَ عليه الحتات[٤٧] وجارية بن قدامة[٤٨] والأحنف بن قيس وكلاهما من تميم وكان الحتات عثمانيًا وكان جارية والأحنف من أصحاب الامام علي عليه السلام فأعطاهما معاوية أكثر مما أعطى الحتات فرجع إليه وقال فضَّلت على مُحرقًا و مخذلًا قال اشتريت منهما دينهما قال وأنا أيضًا فاشترِ منِّي ديني[٤٩] .

بهذا فإن الإمام علي عليه السلام أراد- ولو بجزءٍ يسيرٍ من خلال الأساليب التوعوية أو العسكرية - إصلاح بِنْيَةِ أهل الشام الدينية والعقدية(أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَ كُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَوَاللَّهِ مَا أُبَالِي؛ دَخَلْتُ[أدخلت] إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ. وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ اَلشَّامِ! فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلاَّ وَ أَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَ تَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي، وَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلاَلِهَا[ضلالتها]، وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا.)[٥٠] أو الذين عاصروا الحكم الأموي بدليل قوله عليه السلام في النص السابق إنه لم يؤخر القتال في معركة صفين لشكِّه في جواز قتالهم فإن وجوب قتالهم من المُسلَّمات وظاهرًا للعيان إذ أخبره النبي بقتاله لهم[٥١] أو من حيث أنه الخليفة الشرعي الذي له الطاعة و الجماعة و من خرج عن ذلك وجب قتاله و أهل الشام من هذا القبيل و لكن تأخيره للقتال له فلسفةٌ وغايةٌ ساميةٌ عظيمةٌ هي رجاؤه في أن يتبصّر بعض الناس و يدرك الحقيقة فيهتدي إلى طريق النجاة، فليس الحرب هدفًا في نفسها و إنما هي من أجل الإصلاح؛ وهداية الناس و إرشادهم و ردِّهم إلى الطريق المستقيم و الإمام لا يريد أن يقتل الكافر أو الفاسق و إنما يريد أن يقتل الكفر و الفسق المتجسد فيهم فإذا أدرك ذلك فلا يهمه قتله، فتأخير القتال رجاء عودة بعض الضالين و المنحرفين و إصلاحهم و هدايتهم[٥٢]، كما يُقدِّم الإمام عليه السلام في الوقت ذاته قراءةً في آليات الإسلام و مظاهره في بلاد الشام وغياب الوعي الحقيقي ومن ثم فلسفة الخروج والجهاد ضدهم في قوله إلى قثم بن العباس[٥٣] و هو عامله على مكة(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِي _بِالْمَغْرِبِ_ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ اَلشَّامِ الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ الْأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْبِسُونَ اَلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَ يُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَ يَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ، وَ يَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ، وَ لَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلاَّ

عَامِلُهُ وَلاَ يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلاَّ فَاعِلُهُ. فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ[المصيب] وَ النَّاصِحِ اللَّبِيبِ، التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ، الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ. وَ إِيَّاكَ وَ مَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ، وَ لاَ تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ،ِبطِرًا وَ لاَ عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلًا وَ السَّلاَمُ.)[٥٤] ، الإمام عليه السلام هنا يعطينا نموذجًا مُصغَّرًا من أهل الشام وصفاتهم وهم الدعاة الذين وجههم معاوية إلى مكة في موسم الحج واجتماع الناس، لتحسين صورته ؛ و يُبيِّن عليه السلام أن إسلامهم ودينهم فيه خللٌ فهم في غفلةٍ من أمور الآخرة يخلطون الحق بالباطل فيشوهون الرؤية السليمة ، يطيعون المخلوق وهو معاوية فيما يأمرهم ويوجههم من الشر والفساد ، يلبسون لباس العبادة متخذيه مظهرًا لنيل متطلباتهم وأغراضهم المادية يشترون الدنيا بدل الآخرة عكس الآبرار الذين يبيعون الدنيا ويشترون الآخرة [٥٥] ، ومن كلامه عليه السلام يمكن أن نخرج أيضًا بمجموعة أمور هي:

١- الإعلام الأموي المضاد للإمام عليه السلام واستثمار الحدث وهو موسم الحج الذي تجتمع فيه الفئات والطوائف من الأماكن المختلفة لبثِّ أفكارهم الإرهابية ضد الإمام علي عليه السلام.

٢- قوة الجهاز الاستخباراتي للإمام عليه السلام في ايصال الأخبار وهم العيون في المغرب.

٣- مقياس الخير والشر مقياسٌ قائمٌ على رضى الله سبحانه وغضبه وليس مقياسٌ مادي .

٤- استدامة الحدث في كيفية التصدي للجماعات المخربة والإرهابية في الأوقات التي يكون فيها حدثٌ عالميٌّ ومهم .

بهذا نتلمَّس وبكل وضوح أطروحته عليه السلام الإصلاحية و أسباب الحرب لديه وتعريف أهل العراق خصوصًا والعالم عمومًا بأهل الشام ، بل إذا صح القول استدامة هذه الأحداث من أجل التمهيد والبرمجة لثورة الإمام الحسين عليه السلام من خلال بيان ثقافة وتوجهات و ولاء أهل الشام لأن قيادة حربٍ وعصرٍ مليءٍ بالمتغيرات يستلزم تعريف المجتمع بشكلٍ كاملٍ ودقيقٍ بها وتطبيق القِيَم عليها مما يبعد الوقوع في أخطاءٍ مُهلِكةٍ ومن هذه الرؤية ندرج نصًّا آخر للإمام عليه السلام يعرف فيه أهل الشام وثقافتهم وتوجههم الديني ويحث أهل العراق ويستنهضهم للمسير إليهم في قوله عليه السلام : (...اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لاَ يُبْصِرُونَهُ، وَ مُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لاَ يَعْدِلُونَ بِهِ، جُفَاةٍ عَنِ اَلْكِتَابِ، نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيق.)[٥٦] فقد استحوذ عليهم الشيطان حيارى عن الحق تائهين لا يهتدون إليه مولعين بالظلم فهو أثرٌ عندهم من كل أمرٍ آخر هجروا القران الكريم واتبعوا الشيطان الرجيم بعيدين عنه كل البعد لا يلائمهم ولا يناسبونه[٥٧] .

المبحث الثاني

معطيات الأحداث ونتائجها

هناك جملةٌ من الأهداف الرئيسة والمرحلية التي أفرزتها الحروب التي خاضها الإمام عليه السلام التي تركت آثارًا في الجانبين العقائدي والعملي بينها الإمام علي عليه السلام من أجل تعميق أطروحته وحلولها للمشاكل وأثرها في المواقف المبدئية والمتحركة وهي كما يلي :

أولًا: التطرف الديني والإرهاب الأعمى والفتن التي نبعت من الداخل قهرت الأمة وغالبتها على الخروج عن الصراط المستقيم ، كما ان ثقافة القوة والمقاومة جزء لا يتجزأ من الدعوة الاسلامية﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ﴾[٥٨] وعمل الوصي قوامها توثيق اركان الدين الاسلامي ومنح المسؤولية لمن هو أهلٌ لها يقول عليه السلام بعد ليلة الهرير[٥٩] و قد قام إليه رجلٌ من أصحابه فقال نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندرِ أي الأمرين أرشد فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال : (هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ! أَمَا وَ اللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَ إِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَ إِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى، وَ لَكِنْ بِمَنْ وَ إِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَ أَنْتُمْ دَائِي كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا!...إِنَّ اَلشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَ يُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَ يُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَ بِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ. فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ، وَ اقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْهِمْ وَ اعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ.)[٦٠] هذا الكلام في أثر أحدى الحوادث في معركة النهروان وهي حادثة التحكيم التي أفرزت لنا جماعةً متطرفةً وهم الخوارج الذين أصروا عليها بقولهم يا علي أجب القوم إلى كتاب الله و إلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان ثم فيما بعد كفَّروا الإمام عليه السلام وطلبوا ان يتوب عن التحكيم كما تابوا قائلين: قد كنا زللنا و أخطأنا حين رضينا بالحكمين و قد بان لنا خطأنا فرجعنا إلى اللّه و تُبنا فارجع أنت و تُب إلى اللّه كما تُبنا؛ والمجوعة الأخرى أغلقوا أبوابهم على أنفسهم كلما حرضوا للقتال ثم إن الاستعانة ببعضهم على بعض كناقش الشوكة بالشوكة فهم على نفس الهوا والراي والطباع متشابهة في الفساد ليس هناك فائدةٌ مرجوةٌ ، ثم يستدرك الإمام عليه السلام موضحًا أن سبب كل ذلك هو الشيطان الذي همُّه حلُّ الدين وتمزيق الجماعة وإبعادهم عن منهج الرشاد والسداد إلى التيه والفساد[٦١] ، وفي رأينا إن المقصود بالشيطان هو معاوية وليس كما أشار الشارحون لأن لفظ الشيطان يُطلقه الإمام عليه السلام أو ينادي به معاوية دائمًا، هذا من جانب الجانب الآخر إن الإمام عليه السلام بعد ذلك وفي الكلام نفسه يُبيِّن الفرق بين هذه الشخصية الشيطانية وتحكيم العقل لمعرفة الشخصية الأخرى وهي شخصية الإمام عليه السلام الذي يريد إهداءهم النصيحة التي تنقذهم وتنجيهم وليس إهلاكهم وحل معتقداتهم ومبادئهم الدينية .

ثانيًا: مخالفة الناكثين القوانين الدينية والثقافية والمجتمعية بتولي القيادة لامرأةٍ وهي عائشة بنت أبي بكر زوجة الرسول صلى الله عليه و آله وهذا ليس تحقيرًا من الإمام عليه السلام للمرأة و إنما هو نقدٌ لصحة توجهُهم وهي لا يصح للرجال أن تقودهم امرأةٌ للمعركة لأن الله أعطى الصفات الذكورية للرجل والأنثوية والعاطفة للمرأة وقد صرَّح الرسول صلى الله عليه و آله بذلك لما بلغه أن أهل فارس ملَّكوا عليهم بنت كسرى فقال : (لن يُفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة)[٦٢] ، يقول الإمام عليه السلام (كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَ أَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ؛ رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَ عُقِرَ فَهَرَبْتُم.)[٦٣] فحرب الجمل غيَّبت دور الرجال عن تولي قيادة الحرب وهذه نتيجةٌ يجب الالتفات إليها في الأنظمة العسكرية المتطورة إن النساء تُمثِّل الضعف وتغلب عليها العاطفة في الحرب وقيادة الجيش، على عكس الرجل الذي تتفوق لديه الصلابة على العاطفة هذا من جانب و من جانبٍ آخر إن الناكثين عمومًا وأهل الجمل خصوصًا جعلوا لهم رمزيةً وهو الجمل البهيمة الذي اجتمعت القبائل تدافع عنه وتدفع عنه وما ان سقطت هذه الرمزية حتى انفض وهرب كل من حوله[٦٤] ، بالتالي إن الغرض من هذا الطرح للإمام عليه السلام هو الالتفات إلى هذه النتائج المهمة التي أفرزتها حرب الجمل على المدى البعيد وهي القيادة يجب أن تكون قيادةً كفؤةً زيادةً على الابتعاد من الرموز و لا شك أن هذا يخالف وجه الإسلام الناصع و إنه دِينٌ يمتلك منهجًا حضاريًا ومتطورًا .

ثالثًا: عدم احترام أهل الجمل رسول الله صلى الله عليه و آله وحفظ كرامته وحرمته وهي نتيجةٌ مهمةٌ أفرزتها حرب الجمل يقول عليه السلام (فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ _صلى الله عليه وآله_ كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا ، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَ أَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ_صلى الله عليه و آله _لَهُمَا وَ لِغَيْرِهِمَا فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَ قَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَ سَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ...)[٦٥] ، فهذا أمرٌ معيبٌ بل عجيبٌ ، إن حرمة رسول الله صلى الله عليه و آله لم تُصَنْ فيخرج الرجل زوجته ينتقل بها من مكانٍ إلى اخر يقطعون البراري والقفار كما يجر النخَّاس الإماء من بلدٍ إلى آخر يعرضهم للبيع يستثيرون الناس ويدفعونهم للخروج لقتال الخليفة الشرعي بجيشٍ خليطٍ هجينٍ لا يعرف الله ولا رسوله ولو أنصفوها لأخرج كل منهم زوجته معها لكن صانوا حلائلهم و أبرزوا حليلة رسول الله وزوجته استخفافًا بها وتضييعًا لحرمتها وفي ذلك كلة جرأةٌ على رسول الله صلى الله عليه و آله[٦٦].

رابعًا: أفرزت الحروب أو اظهرت طبيعة المجتمع الشامي وكيف ممكن التعامل معه يقول الإمام عليه السلام (جُفَاةٌ طَغَامٌ، وَ عَبِيدٌ أَقْزَامٌ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَ تُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَ يُعَلَّمَ وَ يُدَرَّبَ، وَ يُوَلَّى عَلَيْهِ، وَ يُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ. لَيْسُوا مِنَ اَلْمُهَاجِرِينَ وَ اَلْأَنْصَارِ وَ لاَ مِنَ اَلَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّٰارَ وَ الْإِيمٰانَ)[٦٧] وفي نصٍ آخر(أَلاَ وَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ وَ عَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ.)[٦٨] ومن كتابٍ له أيضًا إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي[٦٩] و كان

عامله على البحرين، فعزله، و استعمل نعمان بن عجلان الزّرقي[٧٠] مكانه يقول له فيه فيما يخص أهل الشام (فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ اَلشَّامِ، وَ أَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَ إِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.)[٧١] ومن هنا فإن الإمام عليه السلام حاول تأسيس استراتيجية التعامل مع طبيعة هذا المجتمع من ناحية وبيان صفاته وطريقة تفكيره من ناحيةٍ أخرى فشخصيتهم تتميز بأنهم أعرابٌ أجلافٌ غلاظ القلوب قساة المعاملة من أراذل الناس ولا يحملون روح الأحرار جمعتهم العصبية والمنافع وحب الأموال والمصلحة الشخصية أما نسبهم فإنهم خليطٌ من أماكن متعددةٍ ومن فرقٍ مختلفةٍ ثم يصف الإمام عليه السلام مستواهم العلمي ومكانتهم العقلية بأنهم لا يتمتعون بالرشد والكمال بل يحتاجون إلى الأدب والتدريب على الأخلاق الجميلة والعادات الجيدة والأفعال الحسنة كما بيَّن الإمام عليه السلام مكانتهم الدينية وما يمكن أن تضيفه لهم فإنهم لا يمتلكون تلك الصفة أيضًا لا يوجد فيهم من له علمٌ بالدين ولا سابقة بالجهاد لا من المهاجرين ولا الأنصار ولا من الذين تبؤوا الدار والإيمان[٧٢] .

خامسًا: من النتائج المهمة لهذه الحروب و لا سيما حرب الجمل كونها أول تجربةٍ طرحت للقتال بين المسلمين أنفسهم فلسفة النص على الإمامة وأهمية وجودها لأن البغاة كانوا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله وهذه تجربةٌ جديدةٌ للقتال والجهاد بدليل قول الإمام عليه السلام في ذلك (وَ قَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَ لاَ يَحْمِلُ[يحملن] هَذَا الْعَلَمَ إِلاَّ أَهْلُ الْبَصَرِ وَ الصَّبْرِ وَ الْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ، فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَ قِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَ لاَ تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَرًا.)[٧٣] فهذا الباب لم يكن مفتوحًا زمن الخلفاء فلم تقع حربٌ بين فئتين من الملة الواحدة فأحدثت اضطراباً للجهل في كيفية قتالهم والسنة فيهم ومن أقدم عندهم أقدم على خوفٍ وحذرٍ، ولا يحمل العلم بهذا الامر الطارئ والجديد إلا أصحاب العقول الراجحة والعارفين بمواضع الحق ومواطنه وهو الإمام عليه السلام لذلك أمرهم بالوقوف عند كل أمرٍ ظاهرٍ يُنكرونه لأن فيه سرًا ومصلحة[٧٤] .

الهوامش

١ – الإمام علي ، نهج البلاغة ، ص٥٦٢.

٢ – بحوث شبهات وردود حول معركة الجمل وما يتعلق بها www.fnoor.com

٣ – الإمام علي، نهج البلاغة، ص٦٤–٦٥

٤ – نهج البلاغة ، ص٣٦٩–٣٧٠ .

٥ – دخيل ، شرح نهج البلاغة ،٨١/٢.

٦ _ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٤/١٠؛ المؤيد ، الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوحي ، ١٤٣٨/٣ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٢٩/٣.

٧ – نهج البلاغة ، ٦٩٥.

٨ – الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٤٨/٥.

٩ – نهج البلاغة ، ص٧٦٨.

١٠ – الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ٤٧٧/،٣ ؛ وينظر بتعبير آخر الدينوري ، الإمامة والسياسة (منسوب)، ص٧٢ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ١٣/٣.

١١ – الزبيدي ، تاج العروس ، ٣٤٥/٤.

١٢ – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢ / ١٧٥.

١٣ – ينظر : التميمي ، آراء المستشرقين الألمان (فلهاوزن، بروكلمان ، كونسلمان) في النهج السياسي للإمام علي (عليه السلام) حكم من (٣٥_٤٠هـ/٦٥٥_٦٦١م) في حرب الناكثين لبيعته ، ص٤٩٤

١٤ – ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢١٦/١.

١٥ – نهج البلاغة ، ص٣١٩ .

١٦ – مغنية ، في ظلال نهج البلاغة، ٤٠١/٢.

١٧ – الفراهيدي، العين، ٢٠٨٠/٤

١٨ – نهج البلاغة ، ص٣٦٢ .

١٩ – الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٠٧/٣.

٢٠ – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٩٦/٩؛ ابن ميثم، شرح نهج البلاغة ، ٣٢٥/٣؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤٩٦/٢.

٢١ – نهج البلاغة ، ص ٨٤–٨٥.

٢٢ – الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٦٤/١–٢٦٥

٢٣ – ينظر : الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ص٥١١/٣.

٢٤ – نهج البلاغة ، ص٥٠٦ .

٢٥ – والشواهد التاريخية كثيرة على تنازع طلحة والزبير على الملك والسلطة ففي الطبري، عن عتبة بن المغيرة بن الأخنس قال لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فقال أين تذهبون وتأركم على أعجاز الإبل اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم قالوا بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر أصدقاني قالا لأحدنا أيُّنا اختاره الناس قال بل اجعلوه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه قالا ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم ؛ تاريخ الطبري، ٤٧٢/٣ ؛ وفي رواية أخرى خرجت عائشة ومن معها من مكّة ، فلمّا خرجوا منها أذّن مروان بن الحكم ، ثمّ جاء حتى وقف على طلحة والزبير فقال : على أيكما أسلّم بالإمرة وأؤذن بالصلاة ؟ فقال عبد اللَّه بن الزبير : على أبي عبد اللَّه ، يعني أباه الزبير . وقال محمد بن طلحة : على أبي محمد ، يعني أباه طلحة . فأرسلت عائشة إلى مروان وقالت له : أ تريد أن تُفرِّق أمرنا ! ليصلّ بالناس ابن أختي ، تعني عبد اللَّه بن الزبير . ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣ / ٢٠٩.

٢٦ – وما يثبت ذلك ما رواه الطبري عن عوف الأعرابي قال جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة فقال نشدتكما بالله في مسيركما أعهد إليكما فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا فقام طلحة ولم يجبه فناشد الزبير فقال لا ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها، تاريخ الطبري، ٣ / ٤٩١ .

٢٧ – قال عليه السلام: ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار ، وفجروا الأنهار ، وركبوا الخيول الفارهة ، واتخذوا الوصائف الروقة ، فصار ذلك عليهم عارًا وشنارًا ، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه ، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون ، فينقمون ذلك ، ويستنكرون ويقولون : حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا ! ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته ، فإن الفضل النير غدا عند الله ، وثوابه وأجره على الله ، وأيما رجل استجاب لله وللرسول ، فصدق ملتنا ، ودخل في ديننا ، واستقبل قبلتنا ، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده ، فأنتم عباد الله ، والمال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد ، وللمتقين عند الله غدًا أحسن الجزاء ، وأفضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرًا ولا ثوابًا ، وما عند الله خير للأبرار . وإذا كان غدًا إن شاء الله فاغدوا علينا ، فإن عندنا مالا نقسمه فيكم ، ولا يتخلفن أحد منكم ، عربي ولا عجمي ، كان من أهل العطاء أو لم يكن ، إلا حضر ، إذا كان مسلما حرًّا . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، الطوسي ، الأمالي ،٧٢٩؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٣٧/٧.

٢٨ – نهج البلاغة ، ص٣٠٠-٣٠١.

٢٩ – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ١١٠/٩؛ ابن ميثم، شرح نهج البلاغة ، ٢٠٦/٣؛ السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص١٣٦؛ الشوشتري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٧/١٠-١٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة ، ٤٥٢/٢.

٣٠ – نهج البلاغة ، ص٤٩٥.

٣١ – تذكر لنا الروايات ما تعرضت له السنة من مشاكل تداركها الإمام عليه السلام منها (قال أبو موسى لقد ذكرنا على بن أبي طالب صلاة كنا نصليها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إما نسيناها وإما تركناها عمدًا يكبر كلما ركع وكلما رفع وكلما سجد) ، أحمد بن حنبل، مسند الإمام ،٣٩٢/٤.

٣٢ – نهج البلاغة ، ص٤٧.

٣٣ – البيهقي ، معارج نهج البلاغة ، ص٩٣؛ ابن ميثم ، شرح نهج البلاغة ، ٢٨٨/١؛ القائني ، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة ، ١٤٤/٤؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٤٤/١ .

٣٤ – نهج البلاغة ، ص٢٧٦.

٣٥ – الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٨٣/٢؛ الشوشتري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٤٥٣/٦–٤٥٤.

٣٦ – نهج البلاغة ، ص٢٦١–٢٦٢.

٣٧ – الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٣٧/٢؛ الشوشتري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٣٧٩/١٠ .

٣٨– أنصاريان،الدليل على موضوعات نهج البلاغة،ص٣٢٨؛ محمد ، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة ، ص٢٢٣.

٣٩ – نهج البلاغة، ص٨٤.

٤٠ – المؤيد، الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي ، ٣٩٠/١–٣٩١؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٢٢/١ ؛ الجحاف ، إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين ، ٤٨٩/١–٤٨٠.

٤١ –هناك مجموعه من الأقوال التي توثق وتثبت ذلك منها قول السيدة الزهراء عليها السلام (فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي ، وبعد أن مني ببهم الرجال ، وذؤبان العرب ، ومردة أهل الكتاب [كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله] ، أو نجم قرن للشيطان ، وفغرت فاغرة من المشركين ، قذف أخاه في لهواتها ، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه ، ويخمد لهبها بسيفه ، مكدودا في ذات الله ، و مجتهدًا في أمر الله ، قريبًا من رسول الله ، سيد أولياء الله ، مشمرًا ناصحًا ، مجدًا كادحًا وأنتم في رفاهية من العيش ، وادعون فاكهون آمنون ، تتربصون بنا الدوائر ، وتتوكفون الأخبار ، وتنكصون عند النزال ، وتفرون عند القتال) ، المجلسي، بحار الأنوار، ٢٩ / ٢٧٢–٢٧٣. وبإسناد مرفوع إلى الأعمش عن عطية قال : لما خرج عمر بن الخطاب إلى الشام وكان العباس بن عبد المطلب معه يسايره ، فكان من يستقبله ينزل فيبدأ بالعباس فيسلم عليه يقدر الناس إنه هو الخليفة لجماله وبهائه ، وهيبته ، فقال عمر : لعلك تقدر إنك أحق بهذا الأمر مني ؟ فقال له العباس بن عبد المطلب : أحق به مني ومنك من خلفناه بالمدينة ، فقال عمر : ومن ذاك ؟ قال : من ضربنا بسيفه حتى قادنا إلى الاسلام (يعني أمير المؤمنين عليًا عليه السلام) الشريف الرضي ، خصائص الأئمة، ، ص٧٦–٧٧. وفي قول لعمر لولا سيفه لما قام عمود الإسلام ، وهو بعد أقضى الأمة وذو سابقتها وذو شرفها ، ينظر ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة، ٨٢/١٢

٤٢ – القصص/٤٦.

٤٣ – مجموعة مؤلفين ، نهج البلاغة ، نبراس السياسة ومنهل التربية ، ص٩٩.

٤٤ – نهج البلاغة ، ص١٠٦.

٤٥ – نهج البلاغة ، ص٦١٤.

٤٦ – ابن ميثم ، شرح نهج البلاغة ، ٤٧١/٥؛ جرداق، روائع نهج البلاغة ، ص١١٥؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٤١٩/٤–٤٢٠؛ دخيل ، شرح نهج البلاغ. ، ٨٣/٣.

٤٧ – الحتات بن يزيد بن علقمة بن جوى بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناه بن تميم التميمي الدارمي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم مع عطارد بن حاجب والأقرع بن حابس وغيرهما فأسلموا ذكرهم ابن إسحاق والكلبي، ابن عبد البر، الاستيعاب،٤١٢/١؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ٣٧٩

٤٨ – جارية بن قدامة بن مالك بن زهير بن حصن ويقال حصين بن رزاح وقيل رباح بن أسعد بن بجير بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناه بن تميم التميمي السعدي يُكنَّى أبا أيوب وأبا يزيد، عم الأحنف بن قيس وقيل ابن عم الأحنف قاله ابن منده وأبو نعيم ألا إن أبا نعيم قال وقيل ليس بعمه ولا ابن عمه أخي أبيه و إنما سماَّه عمه توقيرًا وهذا أصح فإنهما لا يجتمعان إلا إلى كعب بن سعد بن زيد، يعد في البصريين روى عنه أهل المدينة وأهل البصرة، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشهد معه حروبه، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٢٦٣/١.

٤٩ – ابن عبد البر، الاستيعاب ، ٤١٣/١؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٣٧٩/١.

٥٠ – نهج البلاغة ، ص١٠٧.

٥١ – حديث تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين ، ينظر : الحاكم النيسابوري، المستدرك، ١٤٠/٣؛ الشيخ المفيد، الإفصاح ، ص١٢٥؛ الشيخ الطوسي، أخبار معرفة الرجال (رجال الكشي)،١٧٤/١؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٤/ ٣٣؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٣٢٧/١١.

٥٢ – الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٦٤/١.

٥٣ – قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية وكانت أول امرأة أسلمت بمكة بعد خديجة رضي الله عنهما ،وكان قثم آخر الناس عهدًا برسول الله صلى الله عليه و آله وسلم لأنه كان آخر من خرج من قبره ، ولما وُلِّي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الخلافة استعمل قثم بن العباس على مكة فلم يزل عليها حتى قتل عليه السلام قاله خليفة وقال الزبير استعمله عليه السلام على المدينة ثم إن قثم سار أيام معاوية إلى سمرقند مع سعيد بن عثمان بن عفان فمات بها شهيدًا وكان يشبه النبي صلى الله عليه و آله و سلم ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ١٩٧

٥٤ – نهج البلاغة ، ص٦١٥.

٥٥ – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ٢٩٩/١٦؛ ابن ميثم ، اختيار مصباح السالكين ، ص٥٢٠؛ الخوئي، الدرة النجفية ، ص٣٢٤؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٥٣٦/٣–٥٣٧؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٤٢٣٠/٤.

٥٦ – نهج البلاغة ، ص٢٦٧.

٥٧ – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ١٠٧/٨؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة ،٣٥٣/٢؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٣٧/٢؛ الشوشتري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٣٧٠/١٠.

٥٨ – الأنفال/٦٠.

٥٩ – هي ليلة الجمعة ثالث أيام معركة صفين ، أشد الليالي وقعة وصفها المسعودي شدة المعركة بان الفارس يعتنق الفارس ويقعان جميعًا إلى الأرض عن فرسهما ؛ وجملة من قتله الإمام عليه السلام بسيفه في يوم وليلة الهرير خمسمئة وثلاث وعشرين رجلًا ،مروج الذهب ، ٣٨٩/٢.

٦٠ – نهج البلاغة، ص٢٦٠.

٦١ –الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢/–٣٣٢–٣٢٨؛ الشوشتري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٣٩٠/١٠–٣٩٧؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢١٧/٢–٢١٩؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٦/١–٤١؛ عبدة ، نهج البلاغة ، ٢٣٣/١–٢٣٥؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٣٥/٨–١٣٨.

٦٢ – الترمذي ، سنن الترمذي ، ٣٦٠/٣؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ١١٨/١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ، ٦٦٣/٢.

٦٣ – نهج البلاغة ، ص٤٧.

٦٤ – الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٤٨/١–١٤٩.

٦٥ – نهج البلاغة ، ص٣٦٦–٣٦٧.

٦٦ – ابن ميثم ، شرح نهج البلاغة ، ٣٣٢/٣؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١١٧/٣–١١٨؛ الشوشتري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٤٧/١٠؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٧٤/٢.

٦٧ – نهج البلاغة ، ص٥٤٠–٥٤١.

٦٨ – نهج البلاغة ، ص١٠٣.

٦٩ – عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد القرشي المخزومي ربيب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ، لأن أمه أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه و آله وسلم ، يُكنَّى أبا حفص وُلد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة وقيل إنه كان له يوم قبض النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين وكان يوم الخندق هو وابن الزبير في أطم حسان بن ثابت الأنصاري ،شهد مع الإمام علي عليه السلام معركة الجمل،استعمله الإمام عليه السلام على البحرين وعلى فارس، تُوفي بالمدينة أيام عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وثمانين روى عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم أحاديث روى عنه سعيد بن المسيب وأبو أمامة بن سهل بن حنيف وعروة بن الزبير، ابن الأثير ،أسد الغابة،٤/ ٧٩.

٧٠ – النعمان بن عجلان بن النعمان بن عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الأنصاري الزرقي المتوفى بعد ٣٧ هـ . كان شاعرًا فصيحًا سيّدًا في قومه . أخذ عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله وسلّم) ودعا له . تزوج خولة بنت قيس ، امرأة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب بعد استشهاده . استعمله أمير المؤمنين (عليه السلام) على البحرين ، وعمان ، بعد أن عزل عنهما عمر بن أبي سلمة المتوفى ٨٣ هـ ،الأميني ، أصحاب أمير المؤمنين (ع) والرواة عنه، ٢٢٤/٢.

٧١ – نهج البلاغة ، ص٦٢٨٠

٧٢ – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ٣١٠/١٣–٣١١؛ ابن ميثم ، اختيار مصباح السالكين ، ص٤٦٦–٤٤٦٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة ، ١٠٣/٤–١٠٤.

٧٣ – نهج البلاغة ، ص٣٦٨.

٧٤ – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ٣٣١/٩؛ ابن ميثم ، اختيار مصباح السالكين ، ص٣٥٨؛ المؤيد، الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي ، ١٤٣٢/٣–١٤٣٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة ، ١٢٥/٣؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٥١٣/٢ .

قائمة المصادر والمراجع:

أ_المصادر:

*** القرآن الكريم:**

* ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت ٦٠٦_١٢٠٩ .

_ الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، ١٣٨٥_١٩٦٥م.

_ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى، د.ت.

* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر ت٢٧٩هـ_

أنساب الأشراف ،تحقيق الدكتور محمد حميد الله ،ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات _بيروت، د.ت.

* البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ت٤٥٨هـ

_السنن الكبرى، د.ط، دار الفكر، د.ت .

* البيهقي، ظهير الدين علي بن زيد ت٥٦٥

معارج نهج البلاغة ، تحقيق: محمد تقي، قم، ١٤٠٩هـ.

* الترمذي، الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت٢٧٨هـ_

سنن الترمذي، تحقيق وتصحيح : عبد الوهاب عبد اللطيف،ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان،١٤٠٣ – ١٩٨٣ م.

* الجحاف، يحيى بن إبراهيم ت١١٠٢هـ

_ إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين، محمد جواد الحسيني الجلالي، قم ، ١٣٨٠هـ.

* الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله ت٤٠٥هـ_١٠١٤م.

المستدرك على الصحيحين ، بإشراف يوسف عبد الرحمة المرعشلي،دار المعرفة ، بيروت، د.ت .

* ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي ت٦٥٦هـ__١٢٥٨م.

_ شرح نهج البلاغة ، المحقق: إبراهيم، محمد أبو الفضل،د.ط،مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي _قم المقدسة ،د.ت.

* ابن حنبل، الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد الشيباني ت٢٤١هـ_٨٥٥م.

_ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مجموعة محققين ، ط١، مؤسسة الرسالة – لبنان – بيروت،١٤١٦ هـ .

* الخوئي، قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي ت٥٧٣هـ_

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، المحقق: عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري، قم المقدسة ، ١٤٠٦هـ.
* الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت٢٧٦ هـ
_ الإمامة والسياسة ، تحقيق الأستاذ علي شيري،ط١، دار الاضواء – بيروت، د.ت.
* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨
_ تاريخ الإسلام، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي١٧٠٤هـ – ١٩٨٧ م.
* الزبيدي، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي ت١٢٠٥هـ
_ تاج العروس، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ١٤١٤ – ١٩٩٤ م
* السرخسي، علي بن ناصر النيشابوري ت ق٧
_ أعلام نهج البلاغة ، المحقق: عزيز الله العطاردي القوچاني، د.ط، طهران، ١٤١٥هـ.
* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ت٣١٠هـ_٩٢٣م.
_ تاريخ الطبري، تصحيح : لجنة من العلماء الأجلاء ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، د.ت.
* الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي ت٤٦٠هـ_١٠٦٧م.
_ الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة، ط١، دار الثقافة _قم، ١٤١٤هـ.
_ اخبار معرفة الرجال ، تحقيق السيد مهدي الرجائي ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام،١٤٠٤هـ.
* ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ت٤٦٣هـ
_ الاستيعاب، تحقيق:علي محمد البجاوي ، ط١، دار الجبل ببروت، ١٤١٢هـ_١٩٩٢م.
* علي بن ابي طالب عليه السلام ، الإمام ت٤٠هـ_٦٦٠م.
نهج البلاغة، ضبط صبحي الصالح ،ط٣، دار الحديث للطباعة والنشر ، ١٤٢٦ق_١٣٨٤ش.
* الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت١٧٥هـ
_ العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي الدكتور إبراهيم السامرائي،ط٢، مؤسسة دار الهجرة ايران _ قم، ١٤٠٩هـ.
* القايني، محمد تقي النقوي الخراساني ت١٤٤٠هـ
مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، طهران .
* المتقي الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ت٩٧٥هـ
_ كنز العمال، ضبطه وفسر غريبه صححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ بكري حياني الشيخ صفوة ، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان، ١٤٠٩ – ١٩٨٩ م.
* المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني ت١١١٠_١٦٩٨م.
_ بحار الأنوار، ط٢، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ_١٩٨٣م.
* المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت٣٤٦هـ_
_ مروج الذهب ومعادن الجوهر،ط٢، منشورات دار الهجرة إيران – قم،١٤٠٤ – ١٣٦٣ ش – ١٩٨٤ م .

* المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري ت ٤١٣هـ_١٠٢٢م.
_ الإفصاح، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان،١٤١٤ – ١٩٩٣ م.
* المؤيد، أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني ت٧٤٩هـ
_ الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي (شرح نهج البلاغة)، تحيق: خالد بن قاسم بن محمد المتوكل، صنعاء، ١٤٢٤هـ.
*ابن ميثم، كمال الدين ميثم بن علي البحراني ت٦٨٩هـ
_ شرح نهج البلاغة، طهران ، ١٤٠٤هـ.
_ اختيار مصباح السالكين (شرح نهج البلاغة الوسيط)، تحقيق: محمد هادي الأميني، مركز البحوث الاسلامية_ مشهد ، ١٣٦٦هـ.
* اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي ت٢٩٢هـ_٩٠٤م.
_ التاريخ، مؤسسة فرهنك أهل البيت ع ، قم ، دار صادر، بيروت، د.ت.

ب_ المراجع:

* الأميني ، محمد هادي
أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والرواة عنه ، ط١، دار الكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١٢هـ_١٩٩٢م.
* أنصاريان، علي
_ الدليل على موضوعات نهج البلاغة ، طهران ، ١٣٩٨هـ.
* جرداق، جورج
_ روائع نهج البلاغة ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية _بيروت، ١٤١٧هـ.
* الخوئي، إبراهيم بن حسين دنبلي
_ الدرة النجفية ، بلا مكان، ١٣٢٥هـ.
* دخيل، علي محمد علي
_ شرح نهج البلاغة ، ط١، دار المرتضى _بيروت، ١٤٠٩هـ_١٩٨٩م.
* الشوشتري، محمد تقي
_ بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، دار أمير كبير للنشر_طهران، ١٣٧٦هـ.
* عبده، محمد
_ نهج البلاغة ، تحقيق: محمد محيي الدين ، مطبعة الاستقامة _القاهرة .
* محمد، اويس كريم
_ المعجم الموضوعي لنهج البلاغة ، مشهد ، ١٣٦٦هـ.
* مغنية ، محمد جواد

_ في ظلال نهج البلاغة ، ط٣، دار العلم للملاين _بيروت، ١٩٧٩م.

* الموسوي ، عباس علي

_ شرح نهج البلاغة ، ط١، دار الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله _بيروت، ١٤١٨هـ_١٩٩٨م.

ج_ المجلات:

* التميمي ، أ.م.د عبير عبد الرسول محمد ، الطالب عباس مشعل المطيري، جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ،

_ آراء المستشرفين الألمان (فلهوزن، بروكلمان، كونسلمان) في النهج السياسي للإمام علي (عليه السلام) حكم من (٣٥_٤٠هـ/٦٥٥_٦٦١م) في حرب الناكثين لبيعته ، مجلة الباحث، المجلد ٤١، العدد ٢، ج١، نيسان ٢٠٢٢.

ح_ شبكة المعلومات العالميه. (الأنترنت)

بحوث شبهات وردود حول معركة الجمل وما يتعلق بها www.fnoor.com